مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

الألعاب الذهنية في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط
لعبة الشطرنج أنموذجًا

د. مهدية مستقري
باحثة في التاريخ الاجتماعي للمغرب الوسيط
دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله – المملكة المغربية

مُلَخّص

تعتبر لعبة الشطرنج من الألعاب التقليدية التي مارسها الإنسان منذ فترات قديمة، وطورها حتى أصبحت من الألعاب التي تُعقد لها منافسات في كثير من بقاع الأرض، يشارك فيها الكثير من اللاعبين من مختلف الثقافات والحضارات. وعلى الرغم من اعتبار لعبة الشطرنج من الألعاب الترفيهية، إلا أنها تعد أيضًا من الألعاب التي تنمي قدرة الإنسان وتجعله يكتسب العديد من المزايا المعرفية والتنموية، كما تنمي لديه الصبر والتركيز. وقد أصبحت لعبة الشطرنج في الوقت الراهن جزء من الحياة الثقافية والرياضية لجمهور واسع ومنتشر في جميع أنحاء العالم. وبالرجوع إلى الفترة الوسيطية، زمن الدراسة، نجد أن لعبة الشطرنج كانت في أغلب الأحيان ترتبط بالاستراتيجيات العسكرية، حيث تُعد نموذجًا مصغرًا للحروب. أخذ منها اللاعبون كيفية التعامل مع المواقف الصعبة، واتخاذ القرارات الصائبة، وتنظيم التكتيكات المناسبة أثناء الحروب والمعارك لتحقيق الانتصارات المنشودة. وبالتالي فهي لعبة ذهنية تعتمد على الذكاء والفطنة، كما تهدف إلى تنشيط العقل وتطوير المهارات الفكرية مثل التركيز والتحليل والتخطيط، وإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل. الأمر الذي أدى إلى أن تصبح من الألعاب التي حظيت بمكانة مرموقة داخل المجتمعات الوسيطية، حيث مارسها السلاطين والأمراء والكتاب وأعيان القوم، وكانت علامة على الذكاء والفطنة التي تفاخر بها لا عبوها في الكثير من المجتمعات والحضارات.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبول النشر: ٢٥ يناير ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

تاريخ العصور الوسطى؛ الألعاب الذهنية؛ بلاد الغرب الإسلامي؛ الشطرنج

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/kan.2025.337034.1184

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

مهدية مستقري. "الألعاب الذهنية في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: لعبة الشطرنج أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد التاسع والستون؛ يونيو ٢٠٢٥. ص ٧٧ – ٨٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: mahdiamastagri@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَة

تعتبر لعبة الشطرنج من الألعاب التقليدية التي مارسها الإنسان منذ فترات قديمة، وطورها حتى أصبحت من الألعاب التي تُعقد لها منافسات في كثير من بقاع الأرض، يشارك فيها الكثير من اللاعبين من مختلف الثقافات والحضارات. وعلى الرغم من اعتبار لعبة الشطرنج من الألعاب الترفيهية، إلا أنها تُعَدّ أيضًا من الألعاب التي تنمي قدرة الإنسان وتجعله يكتسب العديد من المزايا المعرفية والتنموية، كما تنمي لديه الصبر والتركيز. وقد أصبحت لعبة الشطرنج في الوقت الراهن جزء من الحياة الثقافية والرياضية لجمهور واسع ومنتشر في جميع أنحاء العالم.

وبالرجوع إلى الفترة الوسيطية، زمن الدراسة، نجد أن لعبة الشطرنج كانت في أغلب الأحيان ترتبط بالاستراتيجيات العسكرية، حيث تُعَدّ نموذجًا مصغرًا للحروب. أخذ منها اللاعبون كيفية التعامل مع المواقف الصعبة، واتخاذ القرارات الصائبة، وتنظيم التكتيكات المناسبة أثناء الحروب والمعارك لتحقيق الانتصارات المنشودة. وبالتالي فهي لعبة ذهنية تعتمد على الذكاء والفطنة، كما تهدف إلى تنشيط العقل وتطوير المهارات الفكرية مثل التركيز والتحليل والتخطيط، وإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل. الأمر الذي أدى إلى أن تصبح من الألعاب التي حظيت بمكانة مرموقة داخل المجتمعات الوسيطية، حيث مارسها السلاطين والأمراء والكتاب وأعيان القوم، وكانت علامة على الذكاء والفطنة التي تفاخر بها لاعبوها في الكثير من المجتمعات والحضارات[١].

وفي هذا السياق سنحاول دراسة الشطرنج باعتباره لعبة من الألعاب الذهنية التي سادت في أوساط المجتمعات الوسيطية بالمغرب والأندلس، إلى جانب ألعاب ذهنية مشابهة من قبيل "فريسيا" و"تيداس" اللتين نطمح أن نجد عنهما معلومات وافية تمكننا من دراستهما دراسة مستقلة، لذلك وددنا في مقدمة هذا المقال إطلاع القارئ على هاتين اللعبتين من خلال ما توفر لدينا من معلومات، أملا منا أن تحظى بدراسات منفردة مستقبلاً.

فيما يخص لعبة "فريسيا" فهي شبيهة بلعبة الشطرنج، عرفتها الأندلس خلال القرنين (٤-٥هـ/١٠-١١م) باسم "فريسيا"، كما كان يطلق عليها أيضًا "ملكة اللعب"، محرفة عن الكلمة اليونانية "Pettentis"، وكانت تلعب على لوحة يقسمها خمسة خطوط في اتجاهين، ثم تجزأ إلى ٣٦ مربعا[٢]. جاء ذكر لعبة "فريسيا" في ثنايا كتاب المطرب من أشعار أهل المغرب، عندما ترجم صاحبه لأبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجُذاميُّ (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م) وذكر مؤلفاته ومنها: رسالته في اللعب باللعبة التي تسمى "فريسيا"، "وهي من غرائب الدهر، عند الخاصة والجمهور"[٣]. إنها من الألعاب التي كان يمارسها الخاصة والعامة من المجتمع الأندلسي، غير أنه من الواضح أن اللوحة التي كان يلعب بها الخاصة كانت مصنوعة بإتقان ومن أجود أنواع الخشب، على عكس العامة التي تستعمل الخشب العادي، كما لا يستبعد أنها كانت أيضًا ترسم على الأرض[٤].

أما ببلاد المغرب فنجد ألعابًا شبيهة بالشطرنج[٥]، كلعبة "تيداس" الأمازيغية التي تعني الوقفة والمواجهة الحربية، مشتقة من كلمة "تيدِّي" التي تعني الوقفة والموقف، وقد سادت ببلاد المغرب منذ القديم، لكنها أصبحت حاليا تقتصر على بعض المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية من المغرب، وحسب روايات شفهية لسكان هذه المناطق فإن "تيداس" تحيل على أرض للمعركة، لاعبها هو القائد، والبياذق جنود، يتوجب عليهم أن يقاتلوا دائما على شكل صفوف وليس بشكل متفرق في الميدان، معتمدين في لعبهم على الذكاء والخبرة والمكيدة لتحقيق الانتصار بأقل عدد من الجنود. وهذا ما يجسده شكل لعبة "تيداس" التي تتكون من مربع في الوسط، ومن ستة عشر شكلاً شبه منحرف، تلعب باثني عشر بيدقا لكل لاعب، توضع واحدًا واحدًا بالتناوب بين اللاعبين، والبيذق لا يكون إلا على الزاوية، وينتقل في جميع الجهات عبر خط مستقيم من زاوية إلى أخرى تليها، وبالتالي كلما تكون صف من ثلاثة بيادق إلا ويؤخذ بيذق واحد للخصم[٦].

ووردت الإشارة إلى لعبة "تيداس" في حديث ابن أبي زرع عن نسب بني مرين، فذكر عن ماخوخ الزناتي، جد المرينيين، أنه كان يلعبها باستمرار حيث "كان قد اتخذ في حلته قبابًا وخيامًا مضروبة مفروشة بالقطف والوسائد، قد أعتدها لنزول الضيفان والوارد وأبناء السبيل، وكان يقعد مع أشياخ زناتة: مغراوة، وبني يفرن، وبني واسين، ونفوسة وغيرهم، يلعب بتداس بأقلام الفضة والذهب، فإذا فرغ من لعبه وأراد القيام أنهيها جلساءه"[٧].

يتضح من المعطيات السابقة، أن لعبتي "فريسا" و"تيداس" كانتا من الألعاب الذهنية التي شاعت في أوساط سكان بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، استقينا ذلك من الإشارات القليلة التي زودتنا بها المادة المصدرية على الرغم من شحها كما سلف الذكر. وفي ظل سكوت المصادر وإغفالها لجوانب عديدة مرتبطة باللعبتين، وجهنا اهتمامنا للعبة الشطرنج.

أولاً: تعريف الشطرنج

تُعَدّ لعبة الشطرنج من بين أكثر الألعاب الذهنية شهرة وانتشارا، حيث كان يقاس بها تقدم البلدان والحضارات عبر الزمن؛ وكان لهذه اللعبة شأن منذ القدم، جعلت العديد من الشعوب تدعي أنها من اختراعها. تعتمد لعبة الشطرنج كليًا على الفطنة والذكاء، فهي تثقف العقل وتقوي عزيمة لاعبيها، كما يزداد بها المرء حكمة وبصيرة، باعتبار أنها تدخل ضمن خانة اللعب الجاد[٨].

وعرف ابن منظور الشطرنج بأنه "الشَّطْرَنْج والشِّطرنج: فارسي معرب، وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جِرْدَحْل"[٩]؛ بمعنى الضخم من الإبل[١٠]. علاوة على ذلك، هناك من عرف الشطرنج أنه مأخوذ من المشاطرة (المقاسمة)؛ لأن كلا من الطرفين له شطر ما، يستحقه من اللعب وهو النصيب، وإذا جاء بالسين المهملة: (سطرنج) يعني أنه مأخوذ من التسطير أو التنظيم عند تعبئة الرقعة. والحاصل أن لفظة الشطرنج لها معنيان، إما مأخوذة من المشاطرة، إذا كانت بالشين المعجمة أو من التسطير عند تعبئة الرقعة إذا كانت بالمهملة، والمشهور المعنى الأول[١١].

وذهبت طائفة من اللغويين على أن مصطلح شطرنج تم تعريبه عن الفارسية، ثم حاولوا تفسيره في اللغة الأصلية، فقال بعضهم هو معرب صدرنك بمعنى مائة حيلة، وقصدوا بذلك التكثير لا الحصر في عدد المائة. وقال البعض الآخر: هو معرب شدرنك ومعناه ذهب العناء باطلاً[١٢]. وانطلاقا من هذه التعريفات دخلت مجموعة من المفردات المتعلقة بالشطرنج إلى معاجم اللغة، إذ استعمل الشطرنجيون ستين ٦٠ كلمة لتسمية أدوات الشطرنج والتعبير عن أوضاعه ومصطلحاته[١٣].

أما تعريف الشطرنج اصطلاحًا فهو رياضة ذهنية وثقافية، تنمي القدرات العقلية وتدرب على الصبر والمثابرة والتخطيط الجيد. ثم إن مباراة الشطرنج هي منافسة بين شخصين متقابلين على رقعة بها ٦٤ مربعا، ذات لونين مختلفين، أحدهما لون فاتح أبيض والآخر أسود[١٤]. ولكل لاعب مجموعة من القطع تتمثل في الشاه، أو الملك والفرزان، أو الملكة والأسقفين، أو الفيلين والحصانين أو الإسبرنجين ثم الرخين أو القلعتين ويتقدم هذه القطع ثمانية بياذق أو جنود[١٥].

نشير أيضًا إلى الارتباط الوطيد بين لعبة الشطرنج والحرب باعتبار هذه اللعبة تجسيدا تمثيليا لساحة المعركة، وبالتالي فلعب الشطرنج يدرب على تعلم مكائد الحروب وأخذ الحيطة والحذر المسبقة لشكل ساحة المعركة وتموقع الجنود، وهذا ما أكده الشاعر أبو زيد بن العمَّة عند حديثه عن الشطرنج منشدًا:

هلّم إلى تدبير جيشين جُمِّعـــــــــا
رِخـــــــــاخٌ وأفيالٌ وجُرْدٌ سوابحُ
تكبرن عن حمل السّلاح إلى الوغَى
فأَرْمَاحُهـا أَلْبَابنا والقـرائحُ[١٦]

واعتبرت لعبة الشطرنج من الألعاب الذهنية التي تهافتت على ممارستها فئة الخاصة، ليس للمتعة والتسلية فقط، بل لتعلم مكائد الحروب وخططها والاستعداد المحكم لمواجهة العدو.

ثانيًا: أصل لعبة الشطرنج

من المفيد أن نشير، قبل الاستطراد في تناول أصل لعبة الشطرنج، أن هناك ألعاب مشابهة لها عرفتها بعض الحضارات العريقة، مثل لعبة "السنت" ومعناها "العبور"، وهي لعبة تجمع بين لاعبين، شاعت بين الأمراء في حضارة مصر القديمة؛ وقيل إن رمسيس الثالث وتوت عنخ أمون كانا يلعبانها باستمرار[١٧].

واختلف شكل رقعة السنت على مر العصور غير أن الأكثر انتشارًا تلك المتكونة من ثلاثين مربعا، مقسمة إلى ثلاثة صفوف في كل صف عشرة مربعات. وكان هذا اللوح المستطيل يوضع على مائدة منخفضة أو صندوق مستطيل، به مكان لحفظ قطع اللعب[١٨]. إلى جانب لعبة "السنت" المصرية، هناك لعبة "جو" "Go" التي عمت في الحضارة الصينية القديمة، وظلت تعتمد من قبل القادة الكبار في الاستراتيجيات الحربية لقرون عديدة، وهي إحدى ألعاب الطاولة المرتبطة بالتخطيطات العسكرية[١٩]. رقعتها أكبر من رقعة الشطرنج تستخدم فيها أحجار بيضاء وسوداء، يختار كل منافس حجر بلون معين، يتم وضعه بالتتابع على التقاطعات بهدف محاصرة وعزل أكبر عدد من أحجار الخصم[٢٠].

يُستشف مما سبق أن الشطرنج شُبه للناس بألعاب ظهرت قديما، حيث كانت تحاكيه بشكل من الأشكال أو تقاربه في صفة من الصفات، مما جعل بعض أمم الحضارة القديمة تدعيه بِشَبَه ما بينه وبين ألعابها التاريخية من تماثل أو قرابة[٢١]. وقد اختلفت الروايات عن أصل الشطرنج، فمنهم من قال إن أصله هندي، وهناك أدلة على هذا:

أولها: أن لفظ شطرنج من اللغة السنسكريتية العريقة، إضافة إلى أن رقعة الشطرنج تشبه إلى حد كبير الجيش الهندي في عدده ونظامه قديما.

ثانيها: ورود كلمة الشطرنج كثيرا في الثقافة الشعبية الهندية القديمة[٢٢].

ثالثها: الحكاية الطريفة التي شاعت عن سبب وضع الشطرنج، فقد روي أن أحد ملوك الهند العظماء كان له ابن اسمه شاه، أخرجه في يوم من الأيام لمعركة فقتل فيها، فخاف الناس من إخبار ملكهم بموت ابنه، فوضع له حكيمه "صصَّه بن داهر الهندي" الشطرنج ليشرح له مكايد الحروب، بين فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس، وبعد أن تم صنعها أمر الحكيم أن تلعب أمام الملك، فلما لعبوا بها قال الغالب للمغلوب: شاه مات، فهم الملك المقصود وأمر أن يعزى بولده[٢٣].

رابعها: ورد في إحدى الروايات أن الحكيم "صصه بن داهر الهندي" لما رأى أن ملك زمانه، على الرغم من كونه مستعدًا للخير والعدل في الرعية، كان يحب اللهو واللعب، وبما أن الملوك أنذاك كان يثقل عليهم سماع النصح والإرشاد، دبر هذا الحكيم حيلة في إيصال الموعظة إلى الملك في صورة اللعب باختراع الشطرنج، الذي مبناه على أن بقاءَ المُلْك ببقاء الرعية، ولما اخترعه وعلم الملك به استقدمه ليعلمه اللعب به، فكان يلاعبه ويشرح له في ضروب اللعب مما يمثل له حالته، وما يتوقع من أخطارها، فتحسنت الأحوال نتيجة لهذا العمل[٢٤]، واهتدى الملك الشاب وعاد بعد الغي إلى الصواب[٢٥].

وعلى الرغم من اختلاف المصادر في إثبات الموطن الأصلي للشطرنج، إلا أن جل الروايات التي أفصحت عن أصولها التاريخية ترجح أنه من عمل بلاد الهند، فإن ذلك لا يمكن أن يحجب عنا ذيوع لعب الشطرنج عند العرب في العصر الوسيط، فالثابت أنهم أخذوه عن الفرس وتداولوه حتى صار جزءا من تراث البشرية الفني والعلمي في العالم الإسلامي[٢٦].

وينبغي الإشارة في هذا الصدد، إلى أن شغف العرب بالشطرنج، أدى بهم إلى تطويريه. كما تعدى بهم الأمر إلى نقله للقارة الأوربية عن طريق الأندلس وإيطاليا وبلاد الشام، إبان الحروب الصليبية، وبالتالي علا شأنه داخل المجتمعات الأوربية وعُد من جملة الأشياء الجميلة التي أخذها أهل أوربا عن ثقافة العرب وحضارتهم[٢٧].

وتحتفظ المصادر العربية بالعديد من أسماء الشطرنجيين المسلمين الذين عرفوا ببراعتهم وجودة لعبهم، نقتصر على ذكر نماذج منهم، ومن أشهرهم: أبو بكر محمد الصولي (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، الذي عرف بأنه أوحد عصره في لعب الشطرنج، مما حدا ببعض الناس إلى القول بشكل مبالغ فيه في حسن لعبه: فلان يلعب الشطرنج مثل الصولي. وكثير منهم ذهب إلى القول إنه

هو من وضع الشطرنج[٢٨]. وكان الصولي من الحذاق البارعين الذين أبهروا الخليفة العباسي المكتفي (ت ٢٩٥ه/٩٠٨م) أثناء لعبه الشطرنج معه[٢٩]. وقد وصف المسعودي هذه الواقعة الشطرنجية فقال: "وذكر أن الصولي في بَدْءِ دخوله إلى المكتفي، وقد كان ذكر له بجودة لعبة الشطرنج[٣٠].

وأما الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فقد كان اللعب عنده مقدمًا، متمكنا من قلبه معجبًا بلعبه، فلعب بحضرة المكتفي، فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي، وتقدم الحرمة والألفة على نصرته وتشجيعه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة، فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته وقصد قصده، غلبه غلبًا لا يكاد يرد عليه شيئا، وتبين حسن لعبه للمكتفي، فعدل عن هواه ونصره للماوردي، وقال له: "صار ماء وردك بَوْلاً"[٣١].

اهتم الخليفة العباسي المهدي بالشطرنجي أبو حفص عمر بن العزير (ت. حوالي ٢١٠ه/٨٢٥م)، وكان شاعرا وشطرنجيا متفوقا، يحسن الشطرنج وشغوفا بلعبها[٣٢]. وكان الخليفة هارون الرشيد لاعبًا ماهرًا، فهو أول من لعب الشطرنج من خلفاء بني العباس، كان مولعًا به أشد الولع، وممن يحسن لعبه ويتقنه غاية الإتقان. وقد انتشرت لعبة الشطرنج بفضل اهتمامه به، وبلغ من شغف الرشيد به حتى أنه لعبه أثناء رحلاته، فقد روى المسعودي في مروج الذهب أن إبراهيم بن المهدي كان يرافق ابن أخيه هارون الرشيد في رحلاته، فقال: "كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يرد نحو الموصل والمدادون يمدون، والشطرنج بين أيدينا"[٣٣].

وتربى أبناء هارون الرشيد أيضًا على حب لعبة الشطرنج فكان المأمون يحبها حبًّا شديدًا، ويقول: "هذا يشحذ الذهن، واقترح فيها أشياء، وكان يقول: لا أسمعن أحدًا يقول: تعال حتى نلعب، ولكن يقول: نتداول، أو نتناقل، ولم يكن حاذقًا بها. وكان يقول: أنا أدبر الدنيا فأتسع لذلك، وأضيق عن تدبير شبرين في شبرين"[٣٤].

وعلى العموم، كان لابد من إدراج هذه النماذج ضمن محور أصل الشطرنج لإثبات تجذر أصول الشطرنج عند العرب المسلمين، وتبين ما شهدته هذه اللعبة من تطورات، وهو ما يعتبر دليلاً على انتقال الشطرنج إلى أوربا عن طريق العرب.

ثالثًا: موقف الفقهاء من الشطرنج

أثار الشطرنج خلافا كبيرا بين الفقهاء في حكمه بين الإباحة والتحريم. وفي هذا الصدد أخبرنا عبيد الله بن عمر قال: "سئل ابن عمر عن الشطرنج فقال: هي شر من النرد"[٣٥]. وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن من لعب بالنرد والشطرنج والجوز والكعاب مقته الله، ومن جلس إلى من يلعب بالنرد والشطرنج لينظر إليهم مُحيت عنه حسناته كلها وصار ممَنْ مقته الله"[٣٦]. وحجة الفقهاء في تحريم لعب الشطرنج كونه ينسي ذكر الله، حتى قيل إن كثيرا من لاعبي الشطرنج يغفلون عن أداء الصلاة في أوقاتها، لأن الشطرنج من الألعاب التي تستغرق وقتًا كثيرًا، وأحيانا يحلف اللاعبون كذبا وبهتانا بقولهم مات شاه[٣٧]. وقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبًا، يقول أحدهم قتلت وما قتل، ومات، وما مات"[٣٨].

روي عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما سأل عن الشطرنج قال: "وما الشطرنج؟ فقيل له: إن امرأة كان لها ابن وكان ملكا فأصيب في حرب دون أصحابه؛ فقالت: كيف يكون هذا، أرُونيه عيانا؛ فعمل لها الشطرنج، فلما رأته تسلت بذلك، ووصفوا الشطرنج لعمر رضي الله عنه[٣٩]. ويبدو أن المسلمين ولعلوا بلعبة الشطرنج، ويظهر ذلك في كون الحجاج في طريقهم للحج كانوا يجلسون فوق شقاديف[٤٠] واسعة وصلبة توضع على الجمال وعليها مظلة، حتى يتمكن شخصان أن يلعبا الشطرنج[٤١].

وقد ذكر بعض المفسرين أن الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)﴾[٤٢] جاءت في إطار الحديث عن النبي إبراهيم عليه السلام، حيث ذهبوا أنها مرتبطة بلعبة الشطرنج التي عكف عليها الأولون. ويذهب ابن كثير فيما رواه عن الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحُ، عن أَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ، عن سعيد بْنُ طَرِيفٍ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: "مَر عليّ عَلَى قَوْمٍ يَلْعَبُونَ بِالشِّطْرَنْجِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا

عَاكِفُونَ؟ لَأَنْ يَمَسَّ أَحَدُكُمْ جَمْرًا حَتَّى يُطْفَأَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّهَا"[٤٣].

ونظرًا لما تسببه مثل هذه الألعاب من تضييع للوقت بدون فائدة، وما ينتج عنها من غفلة عن الأعمال الصالحة، قال الشافعي: "ولا أحب اللعب بالشطرنج، وأكره كل ما يلعب به الناس؛ لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة"[٤٤]. كما أن بعض الفقهاء مثل أبي يوسف مال إلى كراهة التسليم على من يلعبون الشطرنج تحقيرا لهم وحثا لهم على تركه[٤٥]، كما ذكر أيضًا أن اللاعبين بالشطرنج كانت ترد شهادتهم[٤٦].

وأمام مفارقة تحريم هذه الأحاديث للعب الشطرنج، ووعي الفقهاء بأهميته الفكرية والذهنية، وكون تحريمه ينطلق من آثاره، أباحه الكثير منهم، لكن بشروط معينة وجب على اللاعبين التقيد بها كعدم تأخير الصلاة عن وقتها، وألا يُلعب قمارًا، وأن يحفظ اللاعب لسانه عن قول الكلام الفاحش والرديء أثناء لعبه[٤٧]. وذهب بعضهم إلى إباحة لعب الشطرنج لما تقدمه لهم من مساعدات في تعلم تدبير الحرب ومكائدها[٤٨].

يتضح من ذلك أن موقف الفقهاء من لعب الشطرنج اتخذ أشكالا مختلفة من لاعبيه؛ تأرجحت بين التحريم تارة وبين الإباحة تارة أخرى، مع الحرص على احترام شروط اللعب وأوقاته. وبالعودة إلى المصادر الفقهية الوسيطية بالمغرب والأندلس وقفنا على إشارات تهم موقف الشرع من لعب الشطرنج، حيث لم يفت البرزلي أن يربط العلاقة بين لعب الشطرنج وأداء الشهادة، وذلك من خلال وضعه في مصاف الأمور الملهية المدمن عليها، فحسب رأيه أنه "من ثبت عليه أن الشطرنج ألهاهُ على صلاة واحدة حتى خرج وقتها؛ كصلاة النهار بغروب الشمس وصلاة الليل بطلوع الفجر والصبح بطلوع الشمس، لم تُقبل شهادته حتى يتوب [...]، وأما مطلق اللعب بها ففي المدونة إذا أدمن لعبها لم تجز شهادته، وفيها تفصيل وخلاف يُنظر في الأمهات"[٤٩].

وكان لبعض الفقهاء الأندلسيين أمثال ابن جزي الكلبي (ت. ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، فتاوى تخص الألعاب الأكثر ممارسة في البيئة الأندلسية، وهذا ما دفعهم إلى إصدار بعض الأحكام مثل إسقاط الشهادة عن مدمني الشطرنج والنرد، لأنهما يؤديان إلى الانشغال عن الصلاة وأدائها في وقتها، خاصة صلاة الجمعة، وأضاف إليها ملازمة الغناء وسماعه بشكل يخرج عن المعهود، ويبدو ذلك في قوله: "وتسقط الشهادة بالإدمان على الشطرنج، والنرد، وبالاشتغال به عن صلاة واحدة حتى يخرج وقتها، وترك صلاة الجمعة ثلاث مرات من غير عذر، وقيل: بتركها مرة واحدة. وتسقط أيضًا بفعل ما يسقط المروءة وإن كان مباحًا؛ كالأكل في الطرقات، والمشي حافيًا، أو عريانًا، وملازمة الغناء، وملازمة سماعه"[٥٠].

ولم يخرج ابن جزي عن إجماع الفقهاء في تحريم لعبة النرد، في حين كان الموقف عن لعبة الشطرنج يسير في اتجاهين الأول التحريم إن كان بهدف القمار، أما الثاني فالكراهة إن كان دون ذلك حسب الشافعي، يقول: "مسألة: النرد حرام بإجماع، وأما الشطرنج: فإن كان بقمار: فهو حرام بإجماع. وإن كان دونه: فمكروه، وفقا للشافعي. وقيل: حرام وفقًا لأبي حنيفة، وقيل: يحرم إن أدمن عليه، أو شغله عن أوقات الصلاة أو غيرها من أمور الدين، أو فعل على وجه يقدح في المروءة؛ كلعبة مع الأوباش[٥١] أو على الطريق، بخلاف ما سوى ذلك"[٥٢].

إن التدقيق فيما تضمنته كتب الفقه عن موضوع الألعاب بصفة عامة ولعب الشطرنج بصفة خاصة، يظهر أن أغلبيته، إن لم نقل جله، محصورا في زاية موقف القرآن والسنة، مع إغفال جانب العقوبات التي تنفذ على من كان يلعب ألعابا لا تتوافق مع الشرع. والغالب على الظن أن اتخاذ مواقف واضحة في هذا الجانب كان يُعد مجازفة كبيرة، لاسيما أن بعض الألعاب كانت مفضلة لدى فئة الخاصة.

رابعًا: لعبة الشطرنج في الأندلس

قبل الحديث عن لعبة الشطرنج بالأندلس خلال العصر الوسيط، لابد لنا من التنبيه إلى أن المادة المصدرية المتاحة لم تمكنا من الإلمام بكافة النواحي المقترنة بها بشكل مستفيض؛ خاصة ما يتعلق بتاريخ وكيفية دخول الشطرنج إلى الأندلس، غير ما ورد عرضا في بعض المصادر التي ترجمت لبعض الشخصيات المرموقة في الأندلس، وأشارت إلى ولعهم بلعبة الشطرنج، أو بعض الأحداث التاريخية التي كان لحضور اللعبة دور فيها.

وإذا كانت المصادر الأندلسية لا تمدنا بما يكفي من المعلومات عن تفاصيل دخول الشطرنج إلى الأندلس، فيلزمنا البحث بين ثنايا المصادر المشرقية، بحكم أن مؤسس الدولة الأموية هناك عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٦هـ/٧٥٦-٧٨٨م) ينتمي إلى المشرق، فقد عثرنا عن خبر امتلاكه لوحة شطرنج من ياقوت أحمر يعود إلى بلاد فارس، كانت لدى الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١-٩٥هـ/٦٦١-٧١٤م)[٥٣].

تُطلعنا المصادر الأندلسية على القليل من النصوص التي تحوي إشارات ومعلومات عن وجود الشطرنج بالأندلس خلال العصر الوسيط، إذ ظهرت أصداؤها في الشعر الأندلسي في وقت مبكر في نظم للشاعر يحيى الغزال (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، يخاطب فيه ابن أخته إبراهيم الذي كان مولعا بالشطرنج ومعتادا عليه، على أنها لعبة لا تليق إلا بالملوك والأمراء فأنشد:

غَمَّني عِشْقُكَ للشَّطرَنجِ هذا يا بُرَهِيمُ
عَمَلٌ في غَيْرِ بِرٍّ واختلافٌ ولزُومُ
إنَّمَا أسَّسَهَا وَيحَكَ شيطانٌ رجيمُ
هَبْكَ فيهَا أَلْعَبَ النَّاسِ فَمَاذَا يا حَكِيمُ؟!
لُعْبَةُ الشَّطرَنْجِ شؤْمٌ فَاجتَنِبْهَا يا شؤومُ
فَلْيَقُل مَا شَاءَ مَنْ شاءَ فَقَوْلِي مُستَقِيمُ[٥٤]

يؤكد الشاعر الغزال من خلال هذه الأبيات أن الشطرنج لعبة استأثرت بها فئة الخاصة لا غير، لامتلاكهم الأموال والخيرات وتمتعهم بمغريات الحياة وأوقات الرفاه دون تعب وعناء، ولذا يحثُّ العامة على الانصراف عنها وشغل أنفسهم بالسعي وراء متطلبات الحياة بالجد والعمل والابتعاد عن ذوي الشأن العظيم وتسلياتهم[٥٥].

وبالمثل كانت أشعار ابن اللبانة (٥٠٧هـ/١١١٣م)، في رثاء المعتمد بن عباد ملك إشبيلية تشي بانتشار الشطرنج بالأندلس بين فئة الخاصة، جاء في محتواها:

والدهر في صبغة الحرباء منغمس
ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده
وربّما قمرت بالبيدق الشّاة[٥٦]

إلى جانب هذا وظفت بعض الأشعار أسماء قطع الشطرنج لضرب المثل لمن كان وضيعا وارتفع[٥٧]، أنموذج شعر أبي عبد الله محمد بن شرف (ت. ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) متلفظًا:

يَقُولُونَ سَادَ الأَزْذَلُونَ بِأَرْضِنَا
وَصَارَ لَهُمْ مَالٌ وَخَيْلٌ سَوَابِــقُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَلّى الزَّمانُ وَلَمْ تَزَلْ
تُفَرْزِنُ فِي أُخْرَى الدُسُوتُ[٥٨] البَيَادِقُ[٥٩]

وبالمثل، وردت بعض الأشعار تهجو الشخصيات التي أغفلت الوقت وتشاغلت بلعب الشطرنج؛ مثل أحمد بن عباس بن أبي زكريا (ت. ٤٢٧هـ/١٠٣٥م)[٦٠]، حتى صار يردد شعرا صيره أوقات لعبه بالشطرنج:

"عيون الحوادث عني نيـــــامٌ
وهَضْمي على الدهْرِ شيء حَرام"[٦١]

ولم تَشُذُّ الأمثال الشعبية عن الآراء السابقة، فعبرت عن ذهنية المجتمع الأندلسي، حيث ذمت لعب الشطرنج ووصفت لاعبيه بالشؤم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: "اقل النحس: أين تمشي؟ قال: لشطرنجي انْ مورَّكْ"[٦٢]!

ومن الواضح، أن موقف المجتمع الأندلسي من لعبة الشطرنج كان منافيا لفئة الخاصة، فقد اشتهرت شخصيات مرموقة بلعب الشطرنج أمثال محمد بن أحمد بن قطبة الدَّوسي[٦٣]، ومحمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (ت ٧٥٧هـ/١٣٥٦م)[٦٤]، والكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس، والكاتب الحسن ابن عياش، والطبيب ابن زهر الحفيد، الذي لقب بالشطرنجي لولعه بلعبها، فقيل إنه لم يكن بإشبيلية من يلعبها مثله[٦٥]، والشاعر الوزير ابن عمار[٦٦]، على الرغم من أن الشنتريني قال عنه "وليس له من ذلك كلِّه إلا البراءةُ من الإحسان، والاستطالةُ بمكانه من السلطان، أبى الله إلا انهماكه في الشراب والشطرنج"[٦٧]. كما وصفت بعض الشخصيات بتعبيرات مجازية لإتقانها لعب الشطرنج، أنموذج الشاعر أبي الصلت الأندلسي حين قيل عنه كانت له "في الشطرنج يد بيضاء"[٦٨].

وإذا كانت المصادر الأندلسية لا تمدنا بما يشفي الغليل من المعلومات عن لعبة الشطرنج بالأندلس، فإنها على الأقل تؤرخ لحدث تاريخي مهم كان لحضور لعبة الشطرنج دور كبير فيه، مكننا من معرفة مدى أهمية اللعبة في بلاد الأندلس ليس فقط باعتبارها وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية، بل لكونها تتمتع بدور بارز في توطيد العلاقات الدبلوماسية بين البلدان، كما هو الشأن مع ابن عمار وزير الملك المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨هـ/١٠٥٥م) حاكم إشبيلية، الذي نجح في رد حملة الملك الإسباني ألفنسو Alfonso (ت ٥٨٥هـ/١١٩٠م) على إشبيلية، مستغلا حبه للعبة الشطرنج، فأمر بصنع رقعة شطرنج في غاية الإتقان والإبداع ليس لها مثيل عند أحد من الملوك، فجعل قطعها من الأبنوس والعود الرطب، وزينها بالذهب، ولما لقي الملك ابن عمار سأله: كيف أنت في الشطرنج؟ وأين هي الرقعة التي صنعتها؟ فأخبره ابن عمار أنه يتقن لعبها جدا وأنه سوف يأتيه بالرقعة شريطة أن يلعبا معا عليها، وتصبح ملك لمن كانت له الغلبة، إضافة إلى طلب الغالب من المغلوب ما أراده شريطة الوفاء بهذا الوعد أمام شهود، فقبل الملك شرط ابن عمار، فافتتحا يلعبان وكان هذا الأخير كما ذكرنا طبقة بالأندلس لا يقوم له أحد فيها فغلب الملك القشتالي، فحكم عليه بأن يرجع إلى بلاده[٦٩].

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة التي تضمنتها هذه الرواية، إلا أنه لا يمكن أن يغيب عن بالنا أن إدمان اللعبة والحماسة التي تنتاب ممارسيها جعلتهم يقطعون وعودا دون وعيهم التام بحجم تبعياتها.

ولما علم ابن مجاهد العامري بولع ابن عمار بلعب الشطرنج أرسل له "شطرنجًا صغيرا كأن أقليدس قسم أجزاءه، ورقق أشكاله وأنحاءه، يحارُ لطيف صُنْعِه الوهم، ويضلُّ في كيفيته الفهم، قد قسم قسمين: قسم أحمر، وقسم كأنه من ناصع الجوهر، تتقابل خيلُهُ بلا فرسان، وتتقادُ بلا عنان، في أرض مربعة الأقطار، تثير سنابكها العثار، وكأن الرخَّ إذا بَرَزَ للمصاع، وأشهر العرصة للقراع، بطلٌ تُتقى حَمَلَتُهُ، ولا تؤمن جَوْلَتُهُ، يهوي هُوِيَّ الصقر في الجوّ، ويصول صولةَ الأسد في الدوّ، [...] وقلبُ الكتيبة وعليها تقتتل العساكر، وكأن الرَّجْلَ رِجْلُ جرادٍ تريش سهام الحرب، وتقدحُ نارَ الطعنِ والضرب، تبرز إلى المقاتلة بلا سلاح، ويصرع بعضها بعضًا بلا جراح، قد اكتفت عن الصوارم بصرامتها، وعن السابغاتِ بصلابتها:

جيشان يقتتلانِ لا لعـــــــــداوةٍ
أبدًا ويصطلحانِ لا لـوداد
أهداهُ سَعدُ الدولةِ النّدْبُ الذي
جَمَعَتْ محبّتُهُ غُرَى الأكبـاد"[٧٠]

هذا الوصف الدقيق يبين دور اللعب في العلاقات بين الكيانات السياسية آنذاك، بل يعتبر كذلك من النصوص النادرة التي أشارت إلى شكل الشطرنج المنتشر بالأندلس في القرن (٥هـ/١١م)، وأيضًا طريقة تنظيمه وكيفية لعبه. ولعل التفاخر بامتلاك أبهى الشطرنجات قد ارتبط بالمكانة الاجتماعية للشخص، فكلما كانت مرموقة وميسورة إلا وكان غناها يرتسم على علبة الشطرنج.

وبعد سنوات اخترع الشاعر والأديب الأندلسي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي (ت حوالي ٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، سفرة شطرنج مستطيلة الشكل[٧١]، مما يعني أن خاصة بلاد الأندلس لم تهتم فقط بإتقان لعب الشطرنج، بل تجاوز الأمر إلى تطوير شكله وصناعته، وفي ذلك انعكاس للمكانة الاجتماعية التي حظي بها كل من امتلك هذه اللعبة. وهذا ما دفعنا للتساؤل عن الحرف المرتبطة باللعب والألعاب خلال العصر الوسيط، أملا منا أن تجيبنا المصادر مستقبلاً: هل كان هناك حرفيون منتظمون ومختصون بإنجاز تصاميم لها علاقة باللعب؟ أم أن الأمر كان ينجز في مناسبات معينة من قبل حرفيين يزاولون حرف أخرى مثل النجارة والحدادة وغيرهما من الحرف؟

لا يخامرنا شك أن لعب الشطرنج كما ساهم في توطيد العلاقات بين الدول، سمح أيضًا في تعزيز الصلات بين العديد من الوزراء الذين كانوا يستغلون تفوقهم في لعب الشطرنج من أجل التقرب من الأمراء والملوك، للوصول إلى أهم المناصب في البلاد، كما وقع مع عيسى بن شهيد والوليد بن غانم وتمام ابن عامر الثقفي، الذين كانوا وزراء في عهد الأمير محمد بن عبد

الرحمن بن الحكم عندما تعاقبوا في منصب ولاية المدينة[٧٢].

كان الثقفي أكثر حظوة لدى الأمير لاشتهاره ببراعته في لعب الشطرنج[٧٣]، مما يعني أن أصحاب المراتب العليا في البلاطات كانوا يتنافسون من أجل إرضاء الملوك والأمراء والتقرب منهم عن طريق خوض مقابلة شطرنجية معهم. وعلى الرغم من أن فقهاء الأندلس كانوا ينهون عن لعب الشطرنج، كالفقيه محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي، الذي ألف بهذا الخصوص مؤلفا عنونه ب "استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج"[٧٤]، ونهى الفقيه ابن عبدون عن هذه اللعبة إذا كانت على سبيل القمار لأنها تشغل عن الفرائض[٧٥]، نجد في المقابل بعضًا من الفقهاء الذين كانوا يجيدون لعب الشطرنج، منهم الفقيه المعروف أبي بكر بن العربي[٧٦].

ومن خلال تتبعنا لفترة حياة هذه الشخصيات أمكننا استخلاص أن الشطرنج كان منتشرا في الأندلس، ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين/ الحادي عشر والرابع عشر الميلادي، إضافة إلى أن لعبة الشطرنج ارتبطت بالمدن الأكثر شهرة بالأندلس كغرناطة وإشبيلية. مما يجعلنا نطرح السؤال الآتي: هل وجدت بالأندلس مدن مشهورة بلعب معينة عن أخرى، أم أن المدن الكبيرة والمشهورة فقط هي التي عرف سكانها اللعب على غرار المدن الصغيرة والقرى، مما يؤكد هذا الطرح أننا لم نعثر على إشارات تُظهر ولع سكان البوادي بالشطرنج.

وخلافًا لما سبق بخصوص ارتباط لعب الشطرنج بفئة الخاصة، تحدثنا المصادر عن مشاركة العبيد للأمراء في لعب الشطرنج، كما هو شأن الأمير الأموي محمد الأول (ت. ٢٧٣هـ/٨٨٦م) الذي كان مولعا بلعب الشطرنج مع فتاه إيدمون[٧٧]، أو أيدون[٧٨]، وذاعت هذه القصة في الأندلس وصار معظم فتيانها يسعون لتعلم لعبة الشطرنج للتقرب من الملوك والأمراء وللحصول على جوائز[٧٩].

والخلاصة، أنه مثلما تدرج حضور رقيق البلاطات بالأندلس في المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كان لهم أيضًا مشاركة في حياة الترفيه والتسلية، ولعل هذا الأمر شكل دافعًا جليًا وراء حماستهم للإلمام بكافة ما له علاقة بحياة اللهو من قريب أو بعيد، وسعيهم للحصول على امتيازات معنوية وعينية من قبل الملوك والأمراء.

خامسًا: لعبة الشطرنج في المغرب

خلافًا للأندلس التي عرفت انتشارًا واسعًا للعبة الشطرنج خلال العصر الوسيط، لم نجد إشارات، حسب علمنا، تدل على انتشار هذه اللعبة في بلاد المغرب. قبل العهد المريني، عدا إشارة فريدة إلى جلسة لعب جمعت في نهاية القرن (٦هـ/١٢م) ومطلع القرن (٧هـ/١٣م) بين كاتبين من كتاب الدولة الموحدية هما أبو عمران الطرياني وأبو الحسن بن عياش. فقد ورد على لسان الكاتب الأول: "كنت [...] عند الكاتب أبي الحسن بن عياش، فبينا أنا ألاعبه بالشطرنج إذ دخلت إليه أمة له [...]"[٨٠].

أما خلال عصر المرينيين فقد ثبت أن الرجال كانوا يلعبون الشطرنج باستمرار للتسلية والترفيه عن النفس[٨١]، كما أولوا اهتماما بالغا لتعليم أبنائهم الشطرنج. وفي هذا الصدد نجد محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي الأصل "يلعب الشطرنج في حال صغره ظاهرًا ويغالب فيه الأقوياء من قبله"[٨٢]، وعندما ذهب إلى مدينة فاس في وفد أهل سبتة أيام السلطان أبي الحسن[٨٣]، كان يلعب الشطرنج مع خاصة أهل فاس، لما عرف عليه من معرفة وذكاء ونباهة في لعبه[٨٤]. وقد شهد عهد السلطان أبي عنان أيضًا انتشارًا للعب الشطرنج بين رجاله[٨٥]. من خلال هذه الإشارات السريعة، يتضح أن لعبة الشطرنج خلال العصر المريني كانت حاضرة عند فئة الخاصة من أهل سبتة، التي كانت تعلم أبناءها قواعد هذه اللعبة، وتحرص على إتقان ممارستها.

أما أهل فاس فيبدو أنه كان للشطرنج حيزًا في تسلية وترفيه الخاصة بها، فقد أشار الحسن الوزان إلى أن الشطرنج كان لعبة الخاصة حيث "لا يوجد بين الناس المهذبين من ذوي البيئات الحسنة غير لعبة واحدة هي لعبة الشطرنج تبعا لعادة أسلافهم"[٨٦]. ولم تقتصر لعبة الشطرنج على المدن الكبرى، بل نجد ملك فاس عندما

كان يقضي وقتا بالبادية، من أجل حماية مصالح البلاد، كانت لعبة الشطرنج هي وسيلة تسليته في أوقات فراغه، ولربما عبره، وجدت اللعبة طريقها إلى أعيان البوادي[٨٧]. على عكس الأندلس التي لم تشر المصادر الخاصة بها عن لعب الشطرنج بالبوادي.

وبالرجوع إلى شخصية ابن رشيق التغلبي السالف الذكر[٨٨]، نجد أنه في أواخر حياته انتقل إلى مدينة سبتة، ولا ريب أن شخصا مثله يحب الشطرنج واخترع شكلاً جديدًا له نجده ينقل معه هذه الثقافة الشطرنجية إلى المغرب. ويبقى السؤال المطروح هنا هل لعب الشطرنج عندما انتقل للعيش ببلاد المغرب؟ وهذا الاحتمال هو الأرجح، أم أن ابن رشيق لقي معارضة من قبل الفقهاء، وبالتالي استسلم للأوضاع الدينية التي كانت سائدة ببلاد المغرب؟

لا نملك إجابات شافية عن هذا السؤال، وأسئلة أخرى بقيت عالقة في الذهن، لصمت المصادر عنها، وعلى الرغم من شح المادة المصدرية المتعلقة بلعبة الشطرنج في المغرب خلال العصر الوسيط، ولعل في النماذج القليلة التي أوردناها ما يقدم دليلاً على ذلك. إلا أننا ركبنا زورق المغامرة لإدراج ما توفر لدينا في هذه الدراسة آملين أن تحظى بدراسات جديدة من قبل الباحثين.

خَاتِمَةٌ

حاولنا في هذا المقال إثارة بعض القضايا المتعلقة بلعبة الشطرنج، باعتباره لعبة ذهنية مُورست بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، ومن بين هذه القضايا مسألة عدم التوازن في المادة المصدرية التي توزعت بين عدوتي المغرب والأندلس، ففيما يخص المجال الأندلسي يلاحظ أن هناك نصوصًا وافرة إذا ما قورنت بما عليه الحال بالمجال المغربي، وهذا الأمر يطرح من جديد إشكالية التأثير والتأثر الذي مارسه كل مجال في الآخر في مختلف المظاهر الحضارية.

من ناحية أخرى انتهينا إلى أن لعبة الشطرنج اعتبرت لعبة النخبة بامتياز، بحيث اقتصر لعبها على فئة الخاصة، إلا فيما ندر من الحالات، فهل الأمر يرجع لكون الفئة التي كانت تلعب الشطرنج هي الفئة الحاكمة من أهل السيف والقلم، الذين كان يوكل إليهم تدبير شؤون الرعية ووضع الخطط لكسب رهان المعارك والحروب؟ أم أن الأمر مجرد ترفيه وتسلية وترويح عن النفس؟

يثير الموضوع أيضًا قضية أصول اللعبة وانتقالها عبر الزمان، تبعًا لتعاقب الحضارات وانتشارها في المجال المدروس، انطلاقًا من تأثيرات المشرق في بلاد الغرب الإسلامي، فالشطرنج باعتباره لعبة ذهنية لها حمولة ثقافية وفنية كان له حضور، إلى جانب العناصر الأخرى التي تدخل في عداد شروط الترف التي أضحت عليها بعض الدول التي تعاقبت على حكم المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، في الأوساط الاجتماعية الحضرية بالأساس.

يبدو من خلال استقراء بعض النصوص أن لعبة الشطرنج هي لعبة فئة الخاصة من المجتمع، وأيضًا هي ممارسة لفنون السياسة والحرب بشكل مُسَلٍّ، مما كان يرى فيها من يلعبها أنها تقوي القدرات الذهنية، وتسهم بشكل كبير في تنمية الذكاء واكتساب النباهة والدهاء.

الإحالات المرجعية:

(١) مهدية مستقري، **اللعب والألعاب في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذ عبد الإله بنمليح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص ١٩٠. (مرقونة)

(٢) نفسه، ص ٢٠٥.

(٣) أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، منشورات دار العلم للجميع، لبنان، د.ت، ص ٦٧.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) كما ظهرت ببلاد المغرب خلال القرن التاسع عشر لعبة شبيهة بالشطرنج ابتكرها عبد الله بن علي بن الطاهر بن أحمد (ت ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، ابن عائلة شْطِيَّرْ التطوانية، سماها "الوسيط". وقد كانت ابنته الباتول تشرف على تعليم النساء كيفية لعبها. انظر محمد بن عزوز حكيم، مادة "شْطِيَّرْ"، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، منشورات مطابع سلا، ٢٠٠٢، م ١٦، ص ٥٣٨٠.

(٦) الحسين جهادي، مادة "تيداس"، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، منشورات دار الأمان، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، م ٨، صص ٢٦٥٧-٢٦٥٨.

(٧) علي بن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، منشورات دار المنصور، الطبعة الأولى، الرباط، ١٩٧٢، ص ٢٠.

(٨) يوهان هوتسينغا، **ديناميكية اللعب في الحضارات والثقافات الإنسانية**، ترجمة صديق محمد جوهر، منشورات كلمة، الطبعة الأولى، أبو ظبي، ٢٠١٢، ص ٤٦-٤٧.

(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، منشورات دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج ٤، ص ٢٢٦٣.

(١٠) حمدة محمد حيدر الزرعوني، **الترفيه في العراق والشام (من العصر العباسي الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي) نماذج مختارة**، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، الإمارات، ٢٠٢٢، ص ١٤٦.

(١١) محمد بن حسين الآجري، **تحريم النرد والشطرنج والملاهي**، تحقيق محمد سعيد عمر ادريس، منشورات إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦، ص٦٨-٦٩.

(١٢) أحمد الشرقاوي إقبال، **لعبة الشطرنج في ماضيها الإسلامي**، مطبعة النجاح، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٦٩، ص ٧٨.

(١٣) نفسه، ص ٧٥.

(١٤) الآجري، م.س، ص ٦٩-٧٠.

(١٥) محي الدين صف الدين، "لعبة الشطرنج في الأندلس بين المقبلين عليها والعازفين عنها"، **مجلة كان**، عدد ٥٤، ٢٠٢١، ص ٦٤.

(١٦) ابن دحية، م.س، ص ٧٥.

(١٧) زاهي حواس، **الألعاب والتسلية والترفيه عند المصري القديم**، منشورات مكتبة أسرة القراءة للجميع، ٢٠٠٧، ص ١٨.

(١٨) نفس المرجع والصفحة.

(١٩) ويليام في كوستانزو، **السينما العالمية من منظور الأنواع السينمائية**، ترجمة زياد إبراهيم، منشورات هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص ١٠٧.

(٢٠) روبرت جرين، **قواعد السطوة**، ترجمة هشام الحناوي، منشورات أقلام عربية، القاهرة-مصر، ٢٠١٧، ص ٦٨٧-٦٨٨.

(٢١) الشرقاوي، م.س، ص ١٢.

(٢٢) نفسه، ص ١٩.

(٢٣) محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي، **بيان الآفات في تضييع الأوقات**، تحقيق محمد بن عزوز، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، مطبعة دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٥٠.

(٢٤) الآجري، م.س، ص ٧١-٧٢.

(٢٥) الشرقاوي، م.س، ص ١٧.

(٢٦) محمد حسين السوسي البهاوي، مادة "الشطرنج"، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، منشورات مطابع سلا، ٢٠٠٢، م ١٦، ص ٥٣٧٠-٥٣٧١.

(٢٧) نفس المرجع والصفحة.

(٢٨) عبد القادر أبي الوفاء القرشي، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، تحقيق محمد حامد، د.ت، د.ط، ج ١، ص ٤٤٥.

(٢٩) الشرقاوي، م.س، ص ٦٥.

(٣٠) علي بن الحسين بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، عناية ومراجعة كمال حسن مرعي، منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٣١) نفس المصدر والصفحة.

(٣٢) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٤، ج ٢٢، ص ٤٤.

(٣٣) ابن علي المسعودي، م.س، ج ٣، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٣٤) جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، منشورات دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٥٧.

(٣٥) الآجري، م.س، ص ١٣٨.

(٣٦) أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٣٥، ج ٨، ص ٣٣٩.

(٣٧) شمس الدين الحنبلي المقدسي، **النكت والفوائد السنية**، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٣٨) الشرقاوي، م.س، ص ١٩-٢٠.

(٣٩) الأنصاري القرطبي، م.س، ج ٨، ص ٣٣٩.

(٤٠) شقاديف: هودج كان يركبه الحجاج. انظر ابن منظور، م.س، ج ٦، ص ٤٦٣٠-٤٦٣١.

(٤١) عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٤٣.

(٤٢) سورة الأنبياء، رواية ورش، الآيتان، ٥١-٥٢.

(٤٣) إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمود السلامة، منشورات دار طيبة، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩، ج ٥، ص ٣٤٨.

(٤٤) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، منشورات دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٧٣٩.

(٤٥) علاء الدين الكاساني الحنفي، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٦، ج ٥، ص ١٢٧.

(٤٦) الأنصاري القرطبي، م.س، ج ٨، ص ٣٣٧.

(٤٧) البهاوي، م.س، م ١٦، ص ٥٣٧١.

(٤٨) الكتاني الفاسي، م.س، ص ١٥٩.

(٤٩) ابن أحمد البلوي البرزلي، **جامع مسائل الأحكام**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، منشورات دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢، ج ٤، ص ٢١٢.

(٥٠) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية**، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، منشورات دار العليان، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠، ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٥١) الأوباش: مفرد وَبَشٌ، الأخلاط من الناس والضروب المتفرقون، كالشجر والنبات، وهي جمع مقلوب لأوشاب. انظر ابن منظور، م.س، ج ٦، ص ٤٧٥٣.

(٥٢) ابن جزي، م.س، ص ٦٢٠-٦٢١.

(٥٣) أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **ربيع الأبرار في نصوص الأخبار**، تحقيق عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٢، ج ٥، ص ٢٣.

(٥٤) يحيى بن حكم الغزال، **ديوان ابن حكم الغزال**، تحقيق محمد رضوان الداية، منشورات دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣، ص٧٣- ٧٤.

(٥٥) محمد بن عبد الرحمن بشر، **مباهج الأندلس**، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٢، ص ٧٩-٨٠.

(٥٦) عدنان خلف سرهيد دراجي، **التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م)**، منشورات دار حميثرا، الطبعة الأولى، العراق، ٢٠١٨، ص١٥١-١٥٤.

(٥٧) علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي، **مطالع البدور في منازل السرور**، تحقيق التجاني سعيد محمود، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٧١، ج ١، ص ١٩.

(٥٨) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق محمد رضوان الداية، منشورات طلاس، الطبعة الأولى، دمشق، مطبعة العجلوني، ١٩٨٧، ص ٢٦١.

(٥٩) المقصود من قول تُفَرْزِنُ البيدق بمعنى صار فرزاناً، وهو مثل يضرب لمن يتعاظم وهو حقير، ابن سعيد الأندلسي، م.س، هامش رقم ٢٠، ص ٢٦١.

(٦٠) أحمد بن عباس بن أبي زكريا (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م): انصاري النسب، وزير صاحب ألمرية خيران العامري، وكان كاتبا حسن الكتابة غزير الأدب ورث الوزارة عن أبيه. قتل على إثر الخلاف القائم بين أميره خيران العامري وباديس بن حبوس أمير غرناطة. انظر أسامة عبد الحميد حسين السامرائي، **تاريخ الوزارة في الأندلس**، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، هامش ص ١٢٨.

(٦١) لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، منشورات مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ج ١، صص ٢٦٠-٢٦١.

(٦٢) أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٥٤.

(٦٣) محمد بن أحمد بن قطبة الدَّوسي: من أهل غرناطة، كان متحليا بالوقار والحشمة، متمكنا من الشعر والكتابة. ومناقبه يقصُر عنها الكثير من أبناء جنسه كالفروسية والتجنيد والبسالة والرماية والسباحة والشطرنج. انظر ابن الخطيب، **الإحاطة**، م.س، ج ٢، ص٢٥٠-٢٥١.

(٦٤) محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (٧٠٣-٧٥٧هـ/١٣٠٣-١٣٥٦م): ولد بمالقة، كان طبيبا ذكيا وحميد الخصال متمكنا من لعب الشطرنج. ارتحل إلى فاس وشغل بها منصبا في المارستان سنة ٧٥٤هـ. انظر ابن الخطيب، **الإحاطة**، م.س، ج ٢، صص ٥١٥-٥١٦.

(٦٥) أحمد بن القاسم بن خليفة بن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٥٢٢.

(٦٦) الزجالي القرطبي، م.س، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٦٧) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧، قس ٣/ م١، ص ٤٩.

(٦٨) أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٧٢، م ١، ص ٢٤٦.

(٦٩) عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق وتعليق محمد زينهم محمد غرب، منشورات دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤، صص ١٠٨-١٠٩.

(٧٠) ابن بسام الشنتريني، م.س، قس ٣/م ١، صص ٢١٥-٢١٦.

(٧١) ابن الخطيب، **الإحاطة.**، م.س، ج ١، ص ٤٧٦.

(٧٢) محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، منشورات مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٧، ج ١، ص ٣١٣.

(٧٣) نفس المرجع والجزء والصفحة.

(٧٤) إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، منشورات دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٧٥) محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، **رسالته ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق ليفي بروفنسال، منشورات مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٥٣.

(٧٦) الزجالي القرطبي، م.س، ج ١، ص ٢٥٥.

(٧٧) نفس المصدر والصفحة.

(٧٨) ابن حكم الغزال، م.س، ص ٧٤.

(٧٩) نفسه، ص ٧٣.

(٨٠) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الإبياري، منشورات دار المعارف، مصر، ١٩٤٥، صص ٤٣-٤٤. راجع أيضا عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، تقديم وترتيب محمد بن عزوز، منشورات دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠، ج ١، ص ٢٩٢.

(٨١) روجيه لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة نقولا زياده، منشورات فرنكلين، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٠٦.

(٨٢) مؤلف مجهول، "بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب"، **مجلة تطوان**، عدد ٩، سنة ١٩٦٤، ص ١٧٦.

(٨٣) نفسه، ص ١٧٥.

(٨٤) جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٦٤، م ١، ص ١٦٤. راجع أيضا إميل بديع يعقوب، **موسوعة علوم اللغة العربية**، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ج ٨، ص ٢٩٦.

(٨٥) علي حامد الماحي، **المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص ٢٧٣.

(٨٦) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣، ج ١، ص ٢٥٩.

(٨٧) نفسه، ج ١، ص ٢٩١.

(٨٨) راجع، ص ١٨.